تفسير إبن كثير

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ

يقول تعالى : (إن الذين كفروا) أي : غطوا الحق وستروه ، وقد كتب الله تعالى عليهم ذلك ، سواء عليهم إنذارك وعدمه ، فإنهم لا يؤمنون بما جئتهم به ، كما قال تعالى : (إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم) [يونس : 96 ، 97] وقال في حق المعاندين من أهل الكتاب : (ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك) الآية [البقرة : 145] أي : إن من كتب الله عليه الشقاوة فلا مسعد له ، ومن أضله فلا هادي له ، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ، وبلغهم الرسالة ، فمن استجاب لك فله الحظ الأوفر ، ومن تولى فلا تحزن عليهم ولا يهمدنك ذلك ؛ (فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب) [الرعد : 40] ، و (إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل) [هود : 12] .وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، في قوله تعالى : (إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرص أن يؤمن جميع الناس ويتابعوه على الهدى ،

فأخبره االله تعالى أنه لا يؤمن إلا من سبق له من االله السعادة في الذكر الأول ، ولا يضل إلا من سبق له من االله الشقاوة في الذكر الأول .وقال محمد بن إسحاق : حدثني محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة ، أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : (إن الذين كفروا) أي : بما أنزل إليك ، وإن قالوا : إنا قد آمنا بما جاءنا قبلك (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) أي : إنهم قد كفروا بما عندهم من ذكرك ، وجحدوا ما أخذ عليهم من الميثاق ، فقد كفروا بما جاءك ، وبما عندهم مما جاءهم به غيرك ، فكيف يسمعون منك إنذارا وتحذيرا ، وقد كفروا بما عندهم من علمك ؟ !وقال أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، قال : نزلت هاتان الآيتان في قادة الأحزاب ، وهم الذين قال االله فيهم : (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة االله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها) [إبراهيم : 28 ، 29] .والمعنى الذي ذكرناه أولا وهو المروي عن ابن عباس في رواية علي بن أبي طلحة ، أظهر ، ويفسر ببقية الآيات التي في معناها ، واالله أعلم .وقد ذكر ابن أبي حاتم هاهنا حديثا ، فقال : حدثنا أبي ، حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح المصري ، حدثنا أبي ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثني عبد االله بن المغيرة

، عن أبي الهيثم عن عبد الله بن عمرو ، قال : قيل : يا رسول الله ، إنا نقرأ من القرآن فنرجو ، ونقرأ فنكاد أن نيأس ، فقال : ألا أخبركم ، ثم قال : (إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) هؤلاء أهل النار . قالوا : لسنا منهم يا رسول الله ؟ قال : أجل .[وقوله : (لا يؤمنون) محله من الإعراب أنه جملة مؤكدة للتي قبلها : (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) أي هم كفار في كلا الحالين ؛ فلهذا أكد ذلك بقوله : (لا يؤمنون) ويحتمل أن يكون (لا يؤمنون) خبرا لأن تقديره : إن الذين كفروا لا يؤمنون ، ويكون قوله : (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم) جملة معترضة ، والله أعلم] .